مقدّمـــة المقياس

الحمد لله الذي علّم الإنسان ما لم يعلم، والصلاة والسلام على النبي المعلّم، محمد وعلى آله وصحبه وسلّم. وبعد :

إنّ البحث العلمي يعدّ فريضة شرعية، وضرورة بشرية. به يسعد الإنسان وينعم، وبه تسود الأمم وتتقدّم. ولا يؤتي البحث العلمي أكله حتى يطّلع الباحث على مناهجه، و يتّبع خطواته ومراحله، ويتحكّم في أدواته وتقنياته.. وهذا ما نريد توضيحه وبيانه؛ من خلال هذه المحاضرات الموسومة بـِ : " منهجية البحث العلمي في العلوم الإسلامية والإنسانية " والتي تعدّ وحدة مهمّة في شتى المجالات والتخصصات، لما تتضمنه من معارف وعلوم ومناهج وتقنيات.

وبحكم اختصاص العلوم الإسلامية، فقد صُبغت – هذه الدروس– بصبغة شرعية، وبيّنت دور الإسلام في العناية بالمعارف والعلوم، وريادة علمائه في مختلف المناهج والفنون.

وقد جاءت هذه المحاضرات وفق المقرّر المعتمد للمقياس، وهي كالآتي:

المحاضرة الأولى: العلم (المفهوم ، النشأة ، الخصائص..)

المحاضرة الثانية: التفكير العلمي (المفهوم ، الخصائص..)

المحاضرة الثالثة: ماهية البحث العلمي

المحاضرة الرابعة: مراحل إعداد البحث العلمي وتحقيق المخطوطات

المحاضرة الخامسة: المناهج (المفهوم ، النشأة ، الأهمّية)

المحاضرة السادسة: منهجية علماء الإسلام في العلوم الشرعية

المحاضرة السابعة: مناهج البحث العلمي وأصالتها عند المسلمين

المحاضرة الأولى: العلم (مفهومه ، نشأته ، خصائصه ، فضله)

إنّ موضوع العلم من المواضيع التي سال فيها كثير من حبر المؤلفين، وأختلف في معرفة حدّه وكنهه العديد من الفلاسفة ورجال الدين، فهو غاية التفكير والبحوث والدراسات، وميراث الأجيال عبر الحضارت..وسنحاول في هذا المبحث أن نتطرق إلى مفهوم العلم ونشأته وخصائصه وفضله

الفرع الأول : مفهوم العلم : للتعرف على مفهوم مصطلح " العلم " يجب تعريف هذا المصطلح و تحديد معناه و التفريق بينه و بين المصطلحات المشابهة له.

أولا : تعريف العلم:

1- لغة: يعني إدراك الشيء بحقيقته و هو اليقين و المعرفة.[1]

2- اصطلاحا: عرّفه ابن القيّم بأنه:" الإحاطة بالشيء على ما هو عليه وقيل هو دراسة الظواهر الكونية ومعرفة أسرار الوجود، واستخدام تلك الظواهر فيما ينفع الإنسان في شؤونه الدينية والدنيوية"[2]

أمّا النظرة إلى العلم بمفهومه الحديث فهي تجمع بين كون العلم بناء من المعرفة العلمية المنظمة المتطورة، و طريقة للتفكير و البحث .نتوصل عن طريقها إلى هذه المعرفة العلمية وتطبيقاتها العلمية[3]

و يحاول أحمد بدر الجمع بينهما في تعريفه قائلا : " العلم " هو المعرفة المنسقة التي تنشأ عن الملاحظة و الدراسة و التجريب و التي تقوم بغرض تحديد طبيعة و أسس ما تتم دراسته.[4]

ونلاحظ أنّ مفهوم العلم في الوقت الحاضر يختلف عن مفهوم العلم في الإسلام ، إذ نجد مفهومه في الوقت الحاضر على العلم القائم على التجربة ، بينما العلم في تراثنا الإسلامي هو أوسع من ذلك. فقد كان عند علماء الإسلام يعني العلم الشامل ، بشقّيه الشرعي والكوني.[5]

ثانيا: الفرق بين العلم و المصطلحات المشابهة:

1- العلم و المعرفة: إن المعرفة أشمل و أوسع من العلم ذلك لأن المعرفة تشمل كل الرصيد الواسع والضخم من المعارف و العلوم و المعلومات التي استطاع الإنسان باعتباره كائنا و مخلوقا و مفكرا أن يجمعه خلال و عبر التاريخ الإنساني بحواسه و فكره و عقله.[6]

---

[1]- المنجد في اللغة و الإعلام، ص : 527 .

[2] - ابن قيم الجوزية : الفوائد ، ص: 110 ، 111 .

[3]- فاطمة عوض صابر : ميرفت علي خفاجة : أسس و مبادئ البحث العلمي ، ص: 15 .

[4]- أحمد بدر : أصول البحث العلمي ومناهجه ، ص: 17 .

[5]- جمال محمد الهنيدي: تربية علماء الطبيعيات والكونيات المسلمين ، ص : 41 ، 42 .

[6]- أحمد بدر: (م س) ، ص: 15 .

و المعرفة ثلاث أنواع: [7]

أ- المعرفة الحسية: و هي المعلومات و المعارف التي تحصل عليها الإنسان حسيا فقط بواسطة الملاحظات العفوية عن طريق حواسه المعروفة .

ب-المعرفة الفلسفية: و تسمى " التأملية " و هي مجموعة المعارف التي يكسبها الإنسان بواسطة استعمال فكره لا حواسه.

ج-المعرفة العلمية التجريبية : و هي المعرفة التي تكتسب عن طريق الملاحظات العلمية والتجارب المنظمة و المقصودة للظواهر ووضع الفرضيات و استنتاج القوانين و النظريات.

من خلال هذه التقسيمات للمعرفة يتضح أن المعرفة أوسع وأشمل من العلم و إن العلم جزء ونوع من أنواع المعرفة حيث ينطبق العلم على المعرفة العلمية التجريبية فقط.

كما أن بين العلم و المعرفة عموم و خصوص فالعلم أعمّ موردا و أخص تعلّقا و المعرفة أعمّ تعلقا و اخص موردا، ويظهر الفرق بينهما أيضا في أن المعرفة لابد و أن تكون مسبوقة بجهل بخلاف العلم فليس شرطا أن يسبقه جهل.[8]

2- العلم و الفهم : الفهم مصدر فهم ، وفهم الأمر أو المعنى إذا أدركه و عرفه و علمه و هو أخص من العلم و المعرفة، إذ كل من العلم و المعرفة قد يحصل بالقلب و الحواس معا، أما الفهم لا يحصل إلا بالقلب وحده، ومتعلقه المعاني التي تحملها الألفاظ دون الذوات و الصفات.[9]

3- العلم و الفن: العلم – كما رأينا- يقوم على أساس مجموعة من القوانين العلمية الموضوعية و المجردة التي تحدد العلاقات السببية بين الظواهر و يبحث فيما هو موجود و كائن. بينما الفن يقوم ويعتمد على أساس المهارة الإنسانية و يرتكز على المهارات الذاتية و المواهب الفردية و الاستعدادات الشخصية.[10]

04- العلم و الثقافة: مفهوم الثقافة واسع جدا على مفهوم العلم حيث أن الثقافة تشمل العلم و المعرفة و الدين و الأخلاق و القوانين و العادات و الأعراف و التقاليد و أنماط الحياة و السلوك في المجتمع.

---

[7]- المرجع السابق ، ص: 15 .

[8]- أبوبكر جابر الجزائري : العلم و العلماء ، ص: 12 ، 13 .

[9] -المرجع نفسه ، ص :14 .

[10] - منصور كافي : مقياس المنهجية ، جامعة باتنة ، ص :06 .

فالعلم فرع صغير من فروع الثقافة لكنه مؤثر و فعال في الثقافة حيث يعتبر من أبرز فروع و عوامل الثقافة فاعلية و تأثيرا في حياة المجتمعات.[11]

الفرع الثاني : نشأة العلم و تطوره : [12]

العلم ليس نتيجة جهد فرد واحد كما أنّه لم يخرج إلى الوجود في صورته الراهنة دفعة واحدة ، وإنما العلم نشأ و تكون نتيجة جهد متواصل و متراكم لأعداد لا تحصى من الأفراد و اكتشافاتهم على مدى سنين عديدة.

و قد نشأ العلم بالملاحظة و نمى بتجميع تلك الملاحظات و تنظيمها. و بدأ العلم عندما بدأ الإنسان حلّ مشكلات حياته اليومية. و قد تطور بتطور طرق إدراك المعرفة. حيث بدأ الإدراك عن طريق الحواس بطريقة فطرية.و تسمى هذه المرحلة بالمرحلة الوصفية، ثم انتقل إلى المرحلة النظرية، ثم المرحلة التجريبية، و هكذا بدأ العلم يتطور.

الفرع الثالث : خصائص العلم و وظائفه:

أولا : خصائص العلم : يمكن إيجاز أهم خصائص العلم في النقاط الآتية : [13]

1-دقة المفاهيم و الصياغة العلمية المنظمة .

2-الصدق و الموضوعية .

3-القابلية للتعميم .

4-القابلية للتعديل أو التغيير.

5-الصلة الوثيقة بالمجتمع.

ثانيا : وظائف العلم : للعلم عدة وظائف يقوم بها و يوفرها و لعل أهمها: [14] .

1-الاكتشاف و التفسير.

2-الضبط و التحكم و التقنين.

3-التنبؤ .

---

[11]- المرجع السابق، ص: 14 .

[12]- محمد الصافي محمد المبارك : البحث العلمي ، أسسه و طريقة كتابته ، ص : 3 ، 4 .

[13]- أنظر : فاطمة عوض صابر ، مرفت على خفاجة : (م س)، ص: 20 – 22

[14]- أنظر : رشيد زرواتي : مناهج و ادوات البحث العلمي في العلوم الاجتماعية ، ص : 25

منصور كافي : مقياس المنهجية ، جامعة باتنة ص : 6 .

4-الابتكار و الاختراع.

5-حل المشكلات.

هكذا جاء في كتب المنهجية والتي أغلبها مترجم عن الكتب الغربية دون تمحيص ، حيث يلاحظ أن هذه الوظائف والأهداف سطحية و ظاهرية . أما في حضارتنا وقيمنا فهناك أهدافا أخرى عميقة ينبغي أن نلفت الانتباه إليها:

- محاولة الوصول إلى السبب الأول الذي يفسّر كل الظواهر المبعثرة في الكون .

- تسخير الكون - بكلّ ما فيه - لخدمة الإنسان وتكريمه وتحقيق سعادته ووقايته من أسباب الشقاء والدمار.[15]

الفرع الرابع: فضل العلم و العلماء:

إن فضل العلم عظيم .و إن شرفه لعال رفيع. و به فاز أهله بالدرجات العلى. قال تعالى: ﴿يرفع الله الذين آمنوا منكم و الذين أوتوا العلم درجات﴾ [المجادلة 11] و قد جعل الله العلم مقياس التفاضل بين الناس قال جل شأنه: ﴿ قل هل يستوي الذين يعلمون و الذين لا يعلمون﴾ [الزمر09] ، وحتى يكبح من غرور و كبرياء بعض العلماء ، قال تعالى : ﴿ و فوق كل ذي علم عليم ﴾[يوسف 76] لكنّه في الوقت نفسه يحث على طلب العلم و الاستزادة من معينه ﴿و قل رب زدني علما ﴾ [طـه114] لأنه مهما على كعب العلماء في ميادين العلم و المعرفة فإنهم لا يزالون في البداية ﴿ و ما أوتيتم من العلم إلا قليلا ﴾ [الإسراء 83] و حتى يتبين مسلك التلقّي الصحيح للعلم قال تعالى ﴿ و لا تقف ما ليس لك به علم إن السمع و البصر كل أولئك كان عنه مسؤولا ﴾ [الإسراء 36] . كما بين النبي صلى الله عليه وسلم أن الخير لكل الخير في التعلم و التفقه: ﴿ من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين﴾[16] و وضّح صلى الله عليه وسلم في حديث آخر أن منزلة العلم أرقى من منزلة العبادة حيث قال: ﴿ فضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب.﴾[17]

---

[15] – سعد الدين السيد صالح: (م س).ص: 16-18. نقلا عن أحمد عز الدين خلف الله:
القرآن يتحدى . ص: 223

[16] – رواه البخاري عن معاوية ، كتاب العلم، باب من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين. ج1 ، ص: 42 . رقم : 71.

[17]– رواه أبو داود عن أبي الدرداء ، كتاب العلم ، باب الحث على طلب ، ص:403 ، رقم:3641.

و يجدر بالذكر أن التعلم في الإسلام ليس حقا من حقوق الناس فحسب، بل هو واجب شرعي إجباري، قال ρ ﴿ طلب العلم فريضة على كل مسلم﴾[18] و العلم في نظر الإسلام هو حق للجميع، و بالتالي يجب نشره وإذاعته و ليس من الدين كتمانه أو احتكاره، قال تعالى ﴿ إن الذين يكتمون ما نزل على الله من البينات و الهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله و يلعنهم اللاعنون ﴾ [البقرة 159] . و لم يكتف الإسلام بذلك، بل نجده أقام قواعده و أركانه على العلم و التفكير السليم حيث أن العقيدة الصحيحة هي التي تقوم على النظر لا على التقليد أو الهوى.و الطريق الموصل إلى الإيمان بالله Y هو التأمّل ﴿ إن في خلق السماوات و الأرض و اختلاف الليل والنهار.... لآيات قوم يعقلون ﴾ [البقرة 164]

كما حذر الإسلام من إتباع طريق الأوهام و الشكوك و الأهواء لأنها لا توصل إلى الحق واليقين ﴿ إن الظن لا يغني من الحق شيئا ﴾ [الروم 29] لأن الإسلام دين العقل و المنطق والحجة و البرهان ﴿ قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين ﴾ [البقرة 11] . و في الحقيقة إن الآيات الدالة على شرف العلم و الذاكرة له عموما قد ناهزت المائة و حسبنا أنّ أول ما نزل من القرآن الكريم هو قوله تعالى ﴿ اقرأ باسم ربك الذي خلق ﴾ [العلق 01] أما الأحاديث المبينة لفضل العلم و تمجيد العلماء فلا حصر لها و حسبنا هذا الحديث للمصطفى ρ نختم به حيث يقول ﴿ تعلموا العلم فإن تعلمه لله خشية ، و طلبه عبادة، و مذاكرته تسبيح، و البحث عنه جهاد ، و تعليمه صدقة ، و بذله لأهله قربة ﴾[19]

و في الأخير نؤكد أنه " من الخطأ أن نظن العلم المحمود هو دراسة الفقه و التفسير و ما شابه ذلك من الفنون ، و أما ما وراءها فهو نافلة يؤديها من شاء تطوعا أو يتركها و ليس عليه من حرج...! هذا خطأ كبير، فإن علوم الكون و الحياة و نتائج البحث المتواصل في ملكوت السماء والأرض لا تقل أهمية عن علوم الدين المحضة ، بل قد يرتبط بها من النتائج ما يجعل معرفتها أولى بالتقديم من الاستبحار في علوم الشريعة"[20]

الفرع الخامس: المؤسسات التعليمية عند المسلمين:

لقد اهتم المسلمون بالعلم اهتماما بالغا، وجعلوه أولى الأولويات، لأنّ به يصلح أمر الدنيا والآخرة. فراحوا يطلبونه ويتدارسونه بجد واجتهاد. وضحّوا في نيله بأنفس الأوقات والأعمار، واجتهدوا في توريثه للأبناء والأحفاد. وشيّدوا له كثيرا من المباني والمؤسسات التعليمية والتربوية. نذكر منها[21]:

---

[18] –رواه ابن ماجه من حديث أنس، كتاب المقدمة ،باب فضل العلم والحث على طلب العلم ، ص: 39 . رقم : 224.

[19]– رواه ابن عبد البر عن معاذ بن جبل يرفعه. في باب العلم..

[20]– محمد الغزالي : خلق المسلم ، ص: 223 .

[21]– محمد علي محاسنة : (م س) . ص: 132 وما بعدها بتصرف

01- الكتّاب: وهو أول مراحل التعليم ، وقد اقترن بتعليم الصبيان القرآن الكريم وما يتّصل به من علوم اللغة والأدب والكتابة والحساب ، ولهذا فهي تقوم بدور المدارس الابتدائية في عصرنا الحالي. " وكانت الكتاتيب منتشرة في مدن العالم الإسلامي انتشارا واسعا ، فيذكر ابن حوقل أنه كان في مدينة واحدة من مدن صقلية ثلاثمائة كتّاب."[22]

02- حلقات المساجد : المسجد هو أول الأبنية العامة التي أقيمت في الإسلام وهو من أقدم المؤسسات التعليمية عند المسلمين فكان مسجد قباء أوّل مسجد أنشئ في الإسلام اتخذه المسلمون مكانا للعبادة والتعليم . وكان الطفل إذا أتمّ دراسته في الكتاب ورغب في متابعة دراسته ينتقل إلى الحلقة التي يتولى أمرها شيخ من شيوخ العلم، حيث يلتفّ حوله الطلبة على شكل دائرة أو حلقة ثمّ يقوم بإعطاء الدروس . وقد شكّلت علوم الشريعة الإسلامية أساس مواد الدراسة في الحلقات . أمّا أساليب الدراسة فقد كانت متنوعة بين الإملاء والشرح والمناقشة.

03- التعليم في القصور: وهي عبارة عن تعليم خاص بأبناء الخلفاء والأمراء والأغنياء ، حيث كانوا يختارون بعض المعلمين " المؤدّبين" ليقوموا بتدريس أبنائهم في القصور ، ويشارك آباؤهم مع المعلمين في وضع مناهج مناسبة لأولادهم.

04- مجالس الخلفاء والأمراء: وهي عبارة عن صالونات ومنتديات أدبية وعلمية يلتقي فيها كبار الأدباء والفلاسفة والعلماء لإجراء مناظرات وندوات في مجالات متعددة ، وارتبطت بقصور الخلفاء الوزراء والأغنياء . وقد بدأت في عصر الأمويين وازدهرت في العهد العباسي ، وكانت لها آداب وتقاليد خاصة .

05- حوانيت الورّاقين: وهي الأماكن الخاصة ببيع الكتب، وقد فتحت في الأصل لأغراض تجارية ، إلا أنها تحولت إلى مسرح للثقافة والحوار العلمي وبدأ ظهورها منذ مطلع الدولة العباسية وانتشرت في العواصم الإسلامية ، فكان يتردد عليها العلماء والطلبة فيتذاكرون في مسائل أدبية وعلمية. ولم يكن بائعوا الكتب مجرد تجار فحسب وإنّما كانوا على الأغلب أدباء ذوي ثقافة واسعة، ومن أشهرهم ابن النديم صاحب كتاب (الفهرست). وياقوت الحموي صاحب المعجمين (الأدباء) و(البلدان)

06- منازل العلماء : لجأ بعض العلماء إلى التعليم في منازلهم ، وقد اتخذ النبي ρ دار الأرقم بن أبي الأرقم مركزا يلتقي فيه بأصحابه يعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم . ومن بين العلماء الذين اتخذوا بيوتهم مكانا للتعليم الحكيم بن سيناء والعلامة أبو حامد الغزالي.

07- المدارس : المدرسة هي المؤسسة التعليمية ذات المستوى العالي والتي يدرس فيها طلاب العلم مواد دراسية محددة على أيدي أساتذة وشيوخ ضالعين في العلم . ويعود تاريخ ظهورها إلى القرن (13هـ) في بخارى ، ثم نشطت حركة إنشاء المدارس في بلاد المشرق الإسلامي . وقد ذكر المقريزي أنه كان في

22- مصطفى السباعي : من روائع حضارتنا . ص: 100.

مدينة القاهرة ثلاث وستون مدرسة ، كما أشار ابن جبير أن عدد مدارس بغداد في القرن (16 هـ) ثلاثون مدرسة ، أمّا دمشق فقد فاقت المدارس الشرعية والعلمية مائة وخمسين.

الفرع السادس: تصنيف العلوم :

لقد اهتم الكثير بتصنيف العلوم ومنهم أرسطو (ت 384 ق م) و كان أساس التصنيف هو النظرة الفلسفية ، فصارت العلوم عنده تشمل الطبيعة و الرياضيات و ما بعد الطبيعة [23] .كما قدم العلماء المسلمون مساهمة كبيرة في مجال تصنيف العلوم. و لعل أو تصنيف عربي إسلامي كان لجابر بن حيان (ت 160 هـ) وهو التصنيف الوارد في كتابيه " الحدود " و "إخراج ما في القوة إلى الفعل " حيث نجده فتسم العلوم إلى" دينية " و" دنيوية " فالدينية تنقسم إلى شرعية و عقلية، و الشرعية بدورها قسمها إلى ظاهرة و باطنة. أما العلوم العقلية فقسّمها إلى علوم معان و علوم حروف ، و بالنسبة للعلوم الدنيوية فهي علوم شريفة وأخرى وضيعة.

ثم جاء الكندي (ت 260 هـ) فقسم علوم الفلسفة إلى العلم الرياضي والعلم الطبيعي و علم الربوبية و هو أعلاها [24] .

و لعل أبرز تقسيم هوللفرابي (ت 339 هـ) في كتابه " إحصاء العلوم " حيث قسم العلوم إلى علوم اللغة وفروعها و علوم التعاليم أو العلوم الرياضية و علوم الطبيعة و علوم ما وراء الطبيعة و علوم المجتمع و فروعها [25] . وكذلك كتاب " مفاتيح العلوم" للخوارزمي ووضعت بعده كتب أخرى في التصنيف ومن أشهرها كتاب الفهرست لابن النديم و معظمهم رأى أن هناك علوم فلسفية تأملية و علوم عقلية تجريبية . كما اهتم فرنسيس بيكون (ت 1626 م) بتصنيف العلوم فصارت لديه : علوم الذاكرة، و علوم الخيال ، وعلوم العقل .ثم جاءت تصنيفات كثيرة بعده لعلماء آخرون و معظمهم رأى إنسانية علوم لغوية أو دينية و علوم اجتماعية [26] .

و من بين التقسيمات العربية و الإسلامية الحديثة نأخذ تقسيم العلامة أبو بكر جابر الجزائري في كتابه " العلم و العلماء" حيث قسم العلوم إلى ثلاثة:[27]

1- علوم شرعية : و هي قسمان :

---

[23]- صلاح الدين شروخ : منهجية البحث العلمي ، ص : 14 . 15 .

[24]- حسين عبد الحميد : أحمد رشوان العلم و البحث العلمي ، ص: 13 ، 14 .

[25]- رجاء وحيد ديويدري : البحث العلمي أساسياته النظرية و ممارسته العلمية ، ص: 38 .

[26]- رشيد زوراتي : (م س) ، ص : 28 .

[27]- أبوبكر جابر الجزائري ، العلم و العلماء ، ص ، 41 وما بعدها .

أ- مقصودة لذاتها: كالعقيدة و الفقه و الأخلاق و السياسة .

ب-وسائل لتحقيق العلوم الشرعية : تعلم القراءات و التجويد و علوم اللغة و الأدب .

2- علوم كونية : مثل الكيمياء ، و علم النبات ، و علم الحياء و الطب و الصناعة .

3- العلوم الرياضية : كالحساب و الهندسة و الجبر و الفلك و الجغرافيا و التاريخ و المنطق و الفلسفة

هذا وتجدر الإشارة إلى أن من مظاهر اهتمام القرآن الكريم بالعلم و أصنافه ذكره للعلم و مشتقاته أكثر من تسعمئة (900) مرّة [28] . و قد أحصى أحد الباحثين ما ورد في القرآن من آيات تتعلق بالعلوم الطبيعة فوجد أنها تمثل أكثر من عشر القرآن. فمن بين مجموع آيات القرآن 6236 آية وجد 620 آية تتعلق بشتى الموضوعات العلمية موزعة كالآتي :

الرياضيات (61) الفيزياء و النّسبية (131) و الكيمياء (9) و الفلك (100) و علم الأحياء (26) و الجغرافيا العامة (73) و علم السلالات البشرية (10) و طبقات الأرض (20) و علوم الأحداث الكونية (36) ووصف العلم و العلماء (64) [29] .

[28]- محمد فؤاد عبد الباقي ، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، مادة العلم ، ص : 596 ، 609 .

[29]- يوسف مروة : العلوم الطبيعية في القرآن : ص 76 ، 77 .